

مهرجانات السينما على شفير الهاوية

انتقال المهرجانات إلى الإنترنت يهدد الفن السابع وجمهوره

مع انتشار فيروس كورونا المستجد توقفت الكثير من الأنشطة الثقافية من معارض ومهرجانات أدبية وفنية، وخاصة مهرجانات السينما. وإن رأى البعض الحل في شبكة الإنترنت وإقامة المهرجانات السينمائية عن بعد، فإنهم يغفلون جوانب هامة في أي مهرجان، والتي لا يمكن تحقيقها في غياب اللقاء الواقعي. فما يهم في مختلف المهرجانات هو تلك اللقاءات خاصة الجانبية أو الهامشية، والتي تحقق خبرات وتواصلًا عمليًا هاما وتشهد ولادة أفكار وتلاقح أجيال وغيرها، مما لا يمكن للشبكة العنكبوتية أن تقدمه.

نضال قوشحة
كاتب سوري

وجد فن السينما في العالم أواخر عام 1895 وحقق خلال سنوات قليلة حضورا قويا سواء من حيث كونه حاملا فكريا لذهنيات وأيديولوجيات محددة، أو من حيث كونه ممكنا مثيرا يدر مزايا مالية جيدة. وسرعان ما تنبه البعض لأهمية هذا الفن وضرورة استخدامه كمكبر لتقديم حالة إعلامية تروج لأفكار سياسية واجتماعية محددة.

وكان من أوائل من تنبهوا إلى ذلك الزعيم الفاشي الإيطالي بينيتو موسوليني الذي طلب من المعنيين في دولته تنظيم مهرجان سينمائي خاص، يقدم الأفلام السينمائية العالمية. وكان ذلك. ونظمت إيطاليا أول مهرجان سينمائي دولي حمل اسم مدينة البندقية في عام 1932 وقد حضر المهرجان أحد الشقيقتين لومبير، وعرض فيه بحفل الافتتاح الفيلم الأميركي دكتور جيكل ومستر هايد.

تأثر المنتجون السينمائيون بشدة، إذ تخلخت برامجهم التسويقية وبالتالي المالية التي كانت خطتهم قد اعتمدت لها. فباتت عملية تحصيل مزايا مالية من هذه الأفلام مهددة بالقتل. وكان لا بد من إيجاد حلول بديلة عن الواقع المازوم الذي خلفه وباء كورونا. وكان للغة العصر الحديث والثورة التقنية السبق لاقتراح البدائل، حيث استفاد صناع الأفلام من منصات التواصل الاجتماعي لكي يصمموا برامج مهرجانية عبر شبكات الإنترنت.

وحقق الالتجاء إلى الشبكة العنكبوتية نوعا من التفاعل مع جمهور المهرجانات، لكنه لم يصل إلى درجة القبول به حلا دائما بديلا عن شكل المهرجانات السينمائية المعتادة. وانقسم صناع وجمهور المهرجانات السينمائية في هذا الموضوع إلى رأيين، فريق يرى أن إقامة مهرجانات السينما عبر منصات النت هو السبيل الوحيد لمقاومة عوائق الحجر الصحي والعزلة، وفريق آخر يرى في أنها لا تقدم الحل الأمثل للمشكلة.

وبسؤاله عن إقامة مهرجان كان السينمائي عبر منصات التواصل، علق المندوب العام للمهرجان تيري فريمو "الفكرة لا تليق بتاريخ المهرجان الثري والمهيم، ولا بأهميته ضمن محافل السينما الدولية، كيف للمهرجان أن يخلو من وجود أشهر النجوم والنقاد؟ أو كيف يمكن مشاهدة أفلام ويس أندرسون، وآخر أعمال بيكسار على شاشة كمبيوتر؟". وأضاف "ماذا يعني مهرجان افتراضي؟ من هو جمهور هذا المهرجان؟ كيف ينظم على مستوى الزمان والمكان؟ هل منتج الفيلم ومخرجه على دراية بأن فيلمهما سيُعرض في هذا الإطار؟ كيف

تقدم هذه

تقدم هذه

تقدم هذه

تقدم هذه

تقدم هذه



صناعة السينما في خطر

مدير مهرجان الرباط لسينما المؤلف يقول "أنا مع فكرة إقامة هذه المهرجانات الافتراضية، لأنها ستوفر الفرصة لمشاهدة الأفلام التي حرمتنا ظروف الحجر الصحي من متابعتها، ونحن في مهرجان الرباط الدولي لسينما المؤلف نهبنا مع الفكرة ونعمل على خلق قاعات افتراضية عن بعد على موقعنا سنعرض فيها أفلامنا والندوات ولجنة التحكيم سنستغل عن بعد وفي حالة رفع الحجر سنضيف القاعات السينمائية لاستقبال الضيوف والجمهور".



أما عابدة شليبيفر السينمائية العراقية والمديرة المشاركة في مهرجان زيورخ للفيلم العربي تذهب بين الاتجاهين فتري أن "مهرجان الفيلم العربي في زيورخ سيكون بشكله الطبيعي الاعتيادي، ولن نتجه به للشكل الافتراضي إلا إذا أعلنت الدولة الحظر الكامل، وهذا غالبا لن يحصل لأن الدولة لا تستطيع تحمل فاتورة ذلك ماليا، لذلك سيكون الحل هو التشديد على سبل المحافظة على الصحة الشخصية، غالبا سيكون المهرجان طبيعيا ولكن ضمن ضوابط محددة منها تقليل عدد الضيوف وكذلك جمهور الأفلام. وهذا سيؤثر على المهرجان ككل بالتأكيد، لكننا مصممون على إقامة الدورة وبشكلها الطبيعي وسيكون هناك ضيوف رغم عوائق السفر والمطارات".

أما زينة صفيير السينمائية اللبنانية والمديرة الفنية لأيام بيروت السينمائية فتري "أن المهرجانات الافتراضية هي حل مؤقت أوجد بعض النجاحات، ولكن موضوع تقييمه يحتاج لبعض الوقت، فالتجربة حديثة، والحكم عليها إيجابا أو سلبا مبكر الآن".

الخدمة بدون المهرجانات. المهرجان السينمائي، في رأيه، هو حالة تفاعلية بين الناس. ويضيف "نحن في الملمو معنوبون بالصيغة التقليدية، هنالك في المدينة مئة وخمسة وستون جنسية مختلفة، المهرجان سيكون محفزا لهم بالحالة الكرنفالية التي يحققها بالتواصل معه على أحسن حال، وهو ما لا يوفره بالضرورة مهرجان سينمائي افتراضي، هدفنا إيجاد حالة تفاعلية مع الحياة الثقافية العربية وهذا لن يأتي إلا من خلال مهرجان سينمائي بالصورة الطبيعية".

وفي ذات الاتجاه يقدم السينمائي العراقي نزار شهيد الدعم رئيس مهرجان سومر السينمائي رأيه فيقول "المهرجان السينمائي يعني جمهورا، يعني لقاءات حميمة مع الجمهور ومع أصحاب الحرفة. المهرجان ندوات فكرية وسينمائية عن تجارب العمل السينمائي وكيفية تطوير العمل وتبادل الخبرات والمعارف، يعني صحافة وإعلام وفضائيات، ويعني نشرات ودوريات وإصدارات ورقية، يعني كتابا ومخرجين وممثلين ونجوم وخبرات فنية متنوعة حاضرة. يعني عروضاً سينمائية حية ولقاءات مع الجمهور عندما نفقد كل هذا لن يبقى شيء من المهرجان فيما عدا ذلك الذي يحصل ليس مهرجانا ولك أن تسميه مثلما تشاء".

هناك مهرجان عالمي شهير يتضمن حوالي 20 مهرجانا مثل كان وترايبكا ونيويورك وصنداس وغيرها لتقديم عروض أفلام روائية وثائقية طويلة وقصيرة وموسيقية على اليوتيوب من أجل جمع مبلغ يدعم منظمة الصحة العالمية، مهرجان عروض أفلام سينمائية وبدون مسابقة تحت شعار "كلنا واحد مهرجان الفيلم العالمي". هل نقدر أن نعمل كعرب بمستوى هكذا مهرجان؟ يجب نزار شهيد الدعم "هذا الذي كنت أتمنى أن يكون. فيما عدا ذلك لا أجد جدوى من قيام مسابقة أفلام على الإنترنت لأنها لن تترك أثرا عميقا ولا كبيرا لكن النيات كانت طيبة وأيدينا مع أيدي الجماعة مثلما يقولون". وفي رأي السينمائي المغربي عبدالحق منطرش

على إتمام العمل، بداية كان لدينا تخوف من عدم التجاوب، ولكن بعد معرفة المشروع ومرور أسابيع بدأت الاتصالات تظهر، وبعد أن أغلقنا باب المشاركة مدنا لأسبوعين نتيجة إلحاح المتقدمين. وأغلقنا باب المشاركة، وكانت هنالك أفلام لم تقبل.

وباء كورونا جثم بظلاله القائمة على حركة المهرجانات السينمائية في العالم، وضرب خططلها بشكل مباغت

استعملنا في سبيل إنجاز العمل كل الاليات التقنية الحديثة من وسائل تواصل أو تسجيل إلكتروني بالأفلام أو عمليات عقد الاجتماعات عبر غرف المحادثات البصرية واستطعنا كفيفين إنجاز العمل بالوقت المطلوب وبالشكل الصحيح".

عن الطموحات بعد إنجاز الدورة الأولى، يتابع الزنجالي "الدورة الأولى انتهت للنت، وقد عرف الناس بالمهرجان نعلن عن الدورة الثانية التي سنستوسع فيها مواضيع أبعاد من وباء كورونا والتي ستكون في مايو القادم غالبا".

على الضفة الثانية

على نقيض ما ذهب إليه منظمو مهرجان سينمانا، يرى فريق آخر أن الحل لا يكمن في إقامة مهرجانات سينمائية افتراضية، لا يحضرها جمهور ولا نقاد أو مبدعون. في هذا الاتجاه يرى محمد قبلاوي، مؤسس ورئيس مهرجان مالو للفيلم العربي الذي يقام سنويا في السويد، أن الصيغة المستحدثة عن المهرجانات السينمائية يمكن أن تسمى أيا كان لكنها ليست مهرجانا سينمائيا. فالمهرجان هو بالضرورة تواصل كامل بين مجموعة من الضيوف والمبدعين حيث يحضر الفنان المخرج والممثل والفناني الناقد وكذلك المهتم لكي يتابعوا خلال فترة محددة مجموعة من الأفلام والمناشط التي تعود بالفائدة عليهم جميعا.

أما متابعة الفيلم السينمائي من خلال شبكات التواصل، فيشدد قبلاوي على أنها لا تقدم الحالة المهرجانية، خاصة مع وجود العديد من المنصات العالمية التي تقدم هذه

يتم منع القرصنة؟ ومن هم الناس الذين سيتسنى لهم حضور هذا الحدث؟ "العرب" تابعت هذا الموضوع الإشكالي الحار مع عدد من صناع المهرجانات السينمائية العرب المعنيين بالمهرجانات السينمائية داخل الوطن العربي أو خارجه فصاورت عددا منهم، خاصة مع صدور نتائج أول وأوسع مهرجان سينمائي عربي افتراضي يقوم به اتحاد الفنانين العرب وكذلك مع ظهور تأكيدات عالمية بأن وباء كورونا سوف يبقى فترة طويلة في حياتنا اليومية.

في تفاعل عربي مع هذا الحدث، نظم الاتحاد العام للفنانين العرب مهرجانا سينمائيا افتراضيا، عبر النت، كان اسمه سينمانا، عن فكرة قدمها خالد الزنجالي المخرج السينمائي العماني الشهير ونائب رئيس اتحاد الفنانين العرب. وشكلت له لجنة تحكيم خاصة وأعلنت النتائج رسميا بعد مشاهدة الأفلام عبر النت.

عن التجربة والتوجه يؤكد الزنجالي المشرف العام على المهرجان "نحن لا ننافس المهرجانات السينمائية أو الفنية الواقعية، إنما نحاول أن نوجد صيغا شبابية تهتم بهذا الشكل كونها متفاعلة جيدا مع لغة العصر التقنية، كان لا بد من إيجاد فعل سينمائي ما يقاوم حالة العزلة التي فرضها تقشي وباء كورونا. عملنا في ظروف استثنائية صعبة حيث واجهتنا أزمات، صحية ومالية. معظم المؤشرات كانت تقول إن التجربة لن تنجح، ولكن توجه الناس إلى منصات التواصل الاجتماعي بسبب الحجر والفراغ الكبير الذي أحدثه ورغبتهم بملء هذا الفراغ بما هو مفيد وجدي جعل الفكرة تنجح وتأخذ مسارها الصحيح". وعن التحضيرات التي بذلت، يضيف "خلال فترة ثلاثة أشهر عملنا بطاقة كبيرة

تقدم هذه

تقدم هذه

تقدم هذه

تقدم هذه

تقدم هذه



ثم توالى ظهور المهرجانات السينمائية في مختلف دول العالم لما قدمته من أهمية في الترويج للبلد والمدينة المضيفة سياسيا وسياحيا، كما دخلت هذه الصناعة تفاصيل عالم المال، فغدت الية المهرجانات السينمائية عملية منظمة ومعقدة تكلف مبالغ خيالية وتدر كذلك مبالغ أهم. حتى بلغ عدد المهرجانات السينمائية في العالم قبل سنوات ما يقارب العشرة آلاف مهرجان سينمائي تغطي كل طيف الإنتاج السينمائي في العالم.

مخاطر إنتاجية

كانت حركة المهرجانات السينمائية في تطور كبير وصارت بعض أسمائها علامات فنية وإعلامية ومالية كبرى سواء عالميا أم إقليميا. فكانت مهرجانات كان وبرلين وموسكو ولندن وكارلو فيفاري وسان فرانسيسكو وميونخ ويكين وطوكيو والقاهرة ومراكش وقرطاج ودمشق وبغداد وبيروت والرباط ومسقط والأف وغيرها. وباء كورونا جثم بظلاله القائمة على حركة المهرجانات

تقدم هذه

تقدم هذه

تقدم هذه

تقدم هذه

